

مولانا
قسمة الشربيني



جلس يزيد أمام والدته وهو لا يصدق ما تتفوه به، أيعقل أن تتشبه امرأة في مكانتها الاجتماعية بهذه الخرافات؟!

يزيد: أمي هل تعين حقا ما تقولين؟ كيف تفكرين بهذه الطريقة؟
لقد صدمتني!

الأم: أرجوك يا بني تخيل ما اشعر به، لقد مر سبعة سنوات على زواجك ولم ترزق بأطفال، إني أتحرق شوقا لحفيد يحمل اسم العائلة، لمن سنترك كل هذا؟

يزيد: لقد نطقت بالحق لم أرزق هل أعارض أمر الله؟ أرجوك أمي أن تنحي هذه الأفكار جانبا.

الأم: أعلم أن الأطفال رزق، لكن مولانا رجل مبارك وقد ذاع صيته بتحقيق المعجزات، أرجوك يا بني اصحب زوجتك لمقابلته، واستمع لأملك هذه المرة فقط وأعدك أنني سأصبر إن لم تجدي جهوده نفعا.

يزيد: بالله عليك يا أمي كيف أصبح زوجتي له، إنه دجال خرف.

تهب الأم فزعة: لا تقل ذلك أتوسل إليك، لقد قابلته بنفسي- وقد أكد لي أن حمل زوجتك سيحدث في القريب العاجل.

تمسك يده برجاء وتكمل: أرجوك بني افعل ما أطلبه منك أنت وحيدى، ارحم لهفة قلبي بني.

يزيد: بالله عليك هل تصدقين هذا، لقد أجرينا الحقن المجهرى خمس مرات ولم يفلح أيفلح هذا الشيخ فيما لم يفلح به الأطباء؟!
أنت تعلمين أني لا أعاني خطبا وكذلك ريم زوجتي.

ربت على رأس أمه: إنه رزق لم يحن أوانه بعد، لندعو الله وننتظر كرمه.

الأم بتوسل: أرجوك بني لقد عانيت كثيرا لتحديد هذا الموعد مع مولانا، أرجوك فقط استمع إليه، قابله مرة واحدة لأجل أمك.

زفر يزيد يأسا من اقناعها: حسنا أمي سأقابله مرة واحدة لأجلك لكن لا تطليبي مني تكرار الزيارة.

تهلل وجهها بسعادة غامرة وهي تضمه قائلة: حسنا بني لقد أكد لي مولانا أنه زيارة واحدة تفي بالغرض، هيا يا قرة عين أمك أخبر زوجتك لتتجهز موعدا بعد ساعات قليلة.

يزيد: لتخبرها إحدى الخادومات لدى عمل هام، سأعود لأصحابها قبل الموعد بساعة.

وغادر يزيد وهو منشغل بهاتفه.

.....

عاد في موعده ليجد زوجته الفاتنة ريم، وقد استعدت للقاء هذا المولانا وتنتظره بصحبة والدته التي تتراقص السعادة بعينيها:

اقترب يزيد: السلام عليكم

الأم والزوجة: عليكم السلام

ينظر يزيد لريم: هل ننطلق عزيزتي؟

ريم باضطراب: بلى لنفعل.

مد كفه لتتمسك به فيشعر فوراً بما يجيش بصدرها من اضطراب،
ضغط على كفها مطمئناً بينما تقول أمه: اذهبا في رعاية الله.

يبتسم يزيد ويصحب زوجته وهو يردد في نفسه: كيف نذهب في
رعاية الله ونحن متوجهان لمعصيته، وما أن اقتربا من سيارته
الفارهة حتى توقف ليضع يده بجيبه مخرجاً هذا المكعب المخملي
ويفتحه مقدماً محتواه لزوجته قائلاً بود: حبيبتي هلا تضعين هذا
المشبك لأجلي؟ لن يزيد جمالك بل سيزداد جمالا بتعلقه بك.

تبتسم ريم وهي تأخذه قائلة: بلى حبيبي سأضعه لأجلك وانزع ما
وضعته سابقاً.

شعر بالارتياح لمجرد أن علقته بحجابها ثم انطلقا إلى وجهتهما.

.....

أوقف يزيد سيارته، فاستوقف أحد المارة وسأله: من فضلك نسأل
عن منزل الشيخ السوالمي

الرجل: مولانا السوالمي يقطن المنزل البعيد أعلى تلك التلة هناك.
أشار له بيده ثم أردف: لكن سيارتك لن تصل هناك عليك التوجه
سيرا.

هز يزيد رأسه متفهماً وهو يتمتم: لا بأس، جزاك الله خيراً
ترجلت ريم لتتمسك بذراعه بخوف يتجهان لذلك المنزل تحت
أعين متفرسة، فحضور مثل هؤلاء القوم لزيارة السوالمي يؤكد
للبسطاء أنه رجل مبارك وإلا ما قصده عليه القوم.

وصل يزيد ليجد الباب مفتوحا دلفا للداخل فوجدا بعض المنتظرين، تعجب يزيد حقا لازال بعض الناس بمثل هذه العقول الواهية.

بعد قليل خرجت امرأة شكلها يدب أوتادا من الخوف تزعزع القلوب لتقول بحدة: دورك سيدي تفضلا معي.

تبعها في دهليز طويل يصل لحجرة السوالي الذي جحظت عيناه لرؤيتهما، جلسا أمامه وهو يترنح ولا يستطيع أن يمنع عينيه من اختلاس النظر إلى هذه الفاتنة، أغمض عينيه وتمتم بكلمات غير مفهومة ليرفع لهما عينين مرعبتين ويقول بخبث واضح: لقد ظهرت العلة ودواءك بيدي، لا تقلقي ستكونين حبلى هذا الشهر.

نظرت له بشك بينما احتفظ يزيد ببرود وجهه وقال: وما علتها يا مولانا؟

السوالي: يرافقها جن عاشق يحول دون حملها سأصرفه عنها لا تقلق.

يزيد بتعجب مصطنع: جن عاشق.. أيمكنك ذلك حقا؟

السوالي بثقة: بلى يمكنني لكن عليك الانتظار بالخارج فقد تتأذى.

يزيد ببساطة: حسنا سأفعل، افعل أي شيء لتكون هي بخير.

السوالي: لا تخشى شيئاً هي بحماي الآن لن تتأذى. خطف نظرة لريم ثم أردف: قد تنتظر ساعة أو أكثر لا تقلق.

هز رأسه وهم بالخروج لتسرع ريم واقفة أمامه هامسة: يزيد أنا خائفة لا تتركني مع هذا الرجل عيناه ترعباني.

ربت على رأسها وهمس: لا تقلقي حبيبتي ستكونين بخير وهذا وعد مني.

أمسك كفها وقلبه متألم فهي حقا ترتعد خوفا لكن عليه إنهاء ما بدأه، خرج يزيد ليشير لها السوالي على أحد المقاعد ويقول: اجلسي هنا.

جلست بترقب وخوف

بالخارج انزوى يزيد بنفسه وأجرى اتصالا هاتفيا وانتظر الإجابة...
بغضب مكتوم حتى أن صرير أسنانه يسمع على الطرف الآخر:
اللجنة اين أنتم؟؟ لقد انفرد هذا المخبول بزوجتي.

عامر صديق ل يزيد: هذا الحقير يحسن تأمين منطقته، نتسلل ونمسك بعيونه حتى لا يعلم بقدومنا ويلوذ بالفرار.

يزيد: أسرع عامر وإلا لن تحصل إلا على جثته.

عامر: ارجوك يزيد تحلى ببعض الصبر أمامنا دقائق معدودة ونصل لوكره إن أسرعنا ولاذ بالفرار لن يجدي عملنا شيئا وسيعود للظهور
بمكان اخر باسم جديد.

يزيد بغضب: لن أنتظر حتى تتأذى زوجتي، لقد وعدتها أن تكون
بخير إن لم تسرع وتنقذه من يدي ستحصل عليه جثة هامة.

وأنهاى المحادثة دون أن يعطيه فرصة ليحجب.

نظر إلى تلك المرأة ذات النظرات المربعة واقترب منها متصنعا القلق،

يزيد: سيدتي أريد أن أسألك أمرا؟

نظرت له دون إجابة فيما أردف: أحقا ستحمل زوجتي؟؟ تزوجنا منذ سبع سنوات.

ابتسمت بخبث وقالت: ستحمل لا داعي للقلق.

أخرج ورقة فئة المائتي جنية يضعها بكفها بابتسامة كاذبة لتجذب عينيها، فيبتسم وقد تأكد أن المال غايتها فيقول: أتصنعين لي معروفا؟

المرأة: بلى لك ما شئت.

يزيد: انا متوتر وغريب عن منطقكم، أتخضرين لي علبة سجائر أمريكية الصنع، فأنا لا أقوى على الانتظار بلا سجائري. وأخرج ورقة نقدية أخرى قدمها لها قائلا: واحتفظ بالباقي.

وغادرت ليصبح هذا الدهليز مفتوحا أمامه.

أشار السوالمي لريم لتجلس على مقعد محدد أمام مبخرتة النحاسية، ورفع الغطاء ليقذف حفنة من البخور فوق الجمر المشتعل ويتراجع للخلف.

السوالمي: أنت فاتنة حقا، أظننا سنعيد الزيارة مرات عديدة.

ريم: لقد خبرتني حماتي أني سأزورك مرة واحدة فقط.

السوالمي: لم أكن قد رأيتك وقتها، لم أظنك فاتنة لهذه الدرجة.

بدأت رؤيتها تتشوش والخدر يسرى بعروقها ولم تعد تقوى على حمل رأسها، جاهدت لتظل صاحبة... لتكون ابتسامته الخبيثة آخر ما رأت عينيها قبل أن تترنح وتسقط للخلف.

أسرع إليها، حملها ليسطحها على أريكة بإحدى الأركان، وتوجه لغرفة ملحقة ليحضر هاتفه الذي ويضبطه للتصوير، ثبته بحيث تظهر صورة ريم واضحة ثم تركه واقترب منها هامسا بفحيح: أمثالك لا يأتون للزيارة مرة واحدة سأرغمك على المجيء مرارا حتى أكتفى منك.

مد كفه يتحسس وجهها وبدأ بفك حجابها....

بعد مغادرة المرأة، تسلل يزيد عبر الدهليز عائدا للغرفة فهو لن يترك حبيبته لهذا الحقير، فتح الباب بهدوء ليجد هذا الخرف يهم بنزع حجابها وقد اقترب منها بشدة، توجه إليه كإعصار هائج لينفضه بعيدا عنها.

السوالمي بخوف: لما دخلت هنا؟ لقد جئت لنهايتك.

ابتسم يزيد بحقد قبل أن يلكمه لكمة أطاحت ببعض أسنانه، وضع كفه فوق فمه ونظر للدماء المتدفقة برعب وتمتم: سيأتي أعوانب فب التو أنت رجل هالك

يزيد بثقة: استدعهم إذا فلدي أعمال أخرى.

اقترب ليمسك ذراعه وهو يهدر بغضب: هذا الذراع لمس زوجتي...
لحظات وسمع السوالي لطققة عظام ذراعه التي حطمها يزيد.

اقتحم فجأة عامر الغرفة وهو يسوق تلك المرأة أمامه ويتبعه رجاله
الذين أحاطوا السوالي لينقذوه من براثن يزيد الذي توجه لريم،
حملها بين ذراعيه وتوجه خارجا.

أوقفته المرأة وهي تقذف علبة السجائر بوجهه وتقول: خدعتني
أيها الخبيث الماكر.

ضحك يزيد: بل خدعك غباءك يا امرأة الشيطان إن أراد مثلي
التدخين أيدخن هذه القذارة.

المرأة: عليك اللعنة أيها الماكر. وجذبها الشرطي لتتقاد مرغمة
أمامهم.

مساء

الأم بأسف: عذرا بني لم أكن أعلم بنيته لقد أكدت لي إحدى
صديقاتي أنه مبارك ذائع الصيت.

يزيد: لقد جاريك فقط لأثبت لك أن أمثال هذا الرجل لا صلة لهم
بالدين، لقد اتفقت مع عامر ليتم القبض عليه وأعطاني ذلك
المشبك ليسجل ما سيحدث، لقد بذلنا مجهودا مضنيا لتأكد أن
يتعفن هذا الحقير بين جدران السجون لما بقي من عمره.

الأم بأسف: هل أفقت ريم من إغمائها؟

يزيد: ليس بعد، طلبت من الطبيب حقنها بمهدئ لتبقى نائمة حتى أعود من مديرية الأمن، فأنا واثق أنها ستنهار من شدة الخوف ويجب أن أكون بجوارها لحظة إفاقتها.

هزت رأسها بتفهم لينهض مستأذنا: سأصعد الآن وأتوسل إليك يا أمي ألا تكرري مثل هذه الأخطاء، نحن بحاجة لدعائك فقط.

عادت تهز رأسها ليصعد بهدوء متوجه لغرفته حيث قبع بجوار حبيبته منتظرا إفاقتها.

بعد ساعة تقريبا بدأت تحرك رأسها وقد علا تنفسها، أسرع إليها قائلاً بحنان: حبيبتي لا تخشي سواء أنا معك

فتحت عينيها بخوف لتهب جالسة: أين أنا؟

ضمها بحنان: أنت معي لا تخشى- شيئاً، لا بأس عليك حبيبتي أنت بين ذراعي.

ريم بخوف: يزيد ذلك الشيخ هل ذهبنا حقاً لمقابلته أم אני عشت كابوساً؟

يزيد: بلى حبيبتي ذهبنا لكن لم نذهب لمقابلته بل ذهبنا للإيقاع به.

ريم بخوف: لقد ارتعبت هل مسني هذا الحقير؟ لقد فقدت وعي تماماً؟

يزيد: فقدت وعيك لكن لم تفقديني حبيبتي، لقد حطمت ذراعه الذي تجرأ ليلمسك ولو لم ينقذه عامر لفقات عينيه اللتين نظرتا إليك ولاقتلعت قلبه بكفى هذا.

انكمشت ريم بخوف شديد وهي تتمتم: أنا خائفة حبيبي ضمني أكثر
لا تتركني وحدي.

بعد ثلاث سنوات

يزيد: حبيبتي هل أنت واثقة من قرارك؟ ستعيدين عملية الحقن
المجهري.

ريم بحزن: بلى حبيبي واثقة، أعلم أنني أكلفك الكثير من المال لكن
أتمنى أن يرزقنا الله بالذرية الصالحة.

اقترب منها بلهفة قائلاً بحنان: عن أي مال تتحدثين، سأنفق كل
مالي إن لزم الأمر لإسعادك أنا فقط أخشى— أن تصابي بالإحباط
والحزن إذا لم تنجح مرة أخرى.

ريم: لنحاول حبيبي

يزيد بحب: لا تقلقي حبيبتي يوما ما ستنجبين لي طفلا جميلا يشبه
والدته الحبيبة فقط ثقي في الله.

ريم: ونعم بالله

في عيادة الطيبة

الطيبة: سيدتي ليست المرة الأولى لك، لقد أبكرت في الزيارة.

ريم بحزن: لقد تأخر حيضي— مرة أخرى أريد هذه الحقنة التي تحقنني بها قبل الاستعداد للعملية

الطبيبة: حسنا لنفحص الرحم بالأشعة ثم نستعد للحقن.

بعد الفحص

جلس يزيد وريم أمام الطبيبة، هما يعلمان كل الاجراءات التي تسبق الحقن المجهري فهذه المرة التاسعة التي سيعيدان فيها هذا العملية.

الطبيبة بعد أن ملأت ملفا وخطت أسماء بعض العقاقير نظرت لهما بابتسامة هادئة: لا يمكننا إعادة عملية الحقن فأنت سيدتي حامل بالفعل.

اتسعت عينا ريم ويزيد وتسارعت دقات قلبهما.

يزيد بلهفة: حقا ما تقولين؟؟

الطبيبة: نعم سيدي زوجتك ستنجب لك مولودا في القريب، لقد أخبرتكما مرارا لا خطب بأي منكما أنه رزق لم يأتي أوانه بعد.

يزيد بسعادة: وقد جاء، أحمدك ربي وأشكر فضلك.

نظرت الطبيبة لريم وقالت: سيدتي هل أنت بخير

ريم بصوت مختنق: بلى لم أكن يوما بخير مثل اليوم...

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّآثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّآثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

.....

سیدتی، سیدی التردد علی أولئک الذین یدعون البرکة والصلا ح لن
یغیر رزق الله لکم ولن یرد ابتلاء ابتلیتم به ادعوا الله واصبروا، لا یرد
القضاء إلا الدعاء.

تمت بحمد الله